وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المستنصرية

في عامها الذهبي

كلية الآداب

الترقيم الدولي (Issu) ١٩٩٢ - ١١٣٦

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة تصدر عن قسم الفلسفة

العدد الخامس عشر

تموز/٢٠١٧

العدد الخامس عشر
٢٠١٧

مدير التحرير
أ.م.د.رحيم محمد الساعدي
كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير
م.د.سلام عبد الجليل حسين
م.م. ايمان عبد علي
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي
م.م.منار عبد الصاحب

تنضيد
م.م.أثير محمد مجيد

تصميم وطباعة
مكتب الإثير
للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة محكمة يصدرها قسم الفلسفة

رئيس التحرير
أ.د.حسن مجيد العبيدي

الهيأة العلمية الاستشارية

١-البروفيسور الدكتور رئيف جورج خوري/جامعة هايدلبرج/المانيا.
٢-أ.د.محمد المصباحي/جامعة محمد الخامس/المغرب.
٣-أ.د.أنور مغيث/جامعة القاهرة.
٤-أ.د.وليد خوري/الجامعة اللبنانية/لبنان.
٥-أ.د.الزواوي بغورة/جامعة الكويت/الكويت.
٦-أ.د.علي عبد الهادي المرهج/الجامعة المستنصرية/العراق.
٧-أ.د.افراح لطفي/جامعة بغداد/العراق.
٨-أ.د.عامر عبد زيد/جامعة الكوفة/العراق.

الموقع الالكتروني للمجلة
Journalofphilosopy@yahoo.com
البريد الالكتروني
journalofphilosophy@yahoo.com

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)
فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

الفلسفة

مجلة محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد الخامس عشر
أذار

المحتويات

الافتتاحية

أولا:محور العدد (قراءات في النقد الثقافي)

١-المثقف وجدلية الإصلاح في ظل السلطان والمجتمع محمد عبده انموذجا	أ.د. حسن مجيد العبيدي	١-٣٠
٢-النقد الثقافي بين الريادة والتنوير- رؤية فلسفية-	أ.م. د. إسراء حسين جابر	٣١-٤٢
٣-بؤس الانتليجينسيا أزمة الخطاب والتخاطب في الثقافة العراقية (الثقافة, المجتمع العراقي , سوسيولوجيا المعرفة, الدين, الدولة)	د . شاكر سعيد ياسين	٤٣-٧٤
٤-الفلسفة والسينما : مدخل الى فلسفة الصورة	د. حيدر ناظم محمد	٧٥-٩٤
٥-الدولة متعددة الثقافات بديلاً عن الدولة الأمة	م.د. قيس ناصر راهي	٩٥-١١٠

المحور الثاني (قراءات في الفلسفة الإسلامية)

٦-الحركة والسكون في الصورة بين الفلسفة و النقد	زينب لوت	١١١-١٢٢
٧-علم الكلام وجذور فلسفة التاريخ التمهيد لمفهوم(فلسفة تاريخ علم الكلام)	د. رحيم محمد سالم الساعدي م.د. علاء جعفر حسين	١٢٣-١٤٨

ملحق العدد

٨-نص فلسفي جون كوركران التفكير النقدي والرخصة البيداغوجية	ترجمة : م. د . ليث أثير يوسف	١٤٩-١٥٤

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
Philosophyarts@yahoo.com

PHILOSOPHY

Philosophical magazine

دعوة للاساتذة والباحثين

تدعو مجلة الفلسفة جميع الاساتذة والباحثين الاكاديميين لنشر بحوثهم العلمية والثقافية والفكرية الفلسفية للنشر في هذه المجلة ورفدها بكل ما هو جديد من بحوثكم الاكاديمية المتميزة

مع التقدير

مدير تحرير المجلة

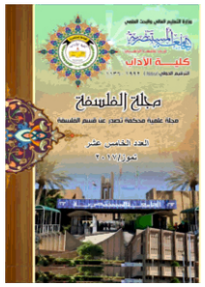

الغلاف الاول

الغلاف الثاني

بؤس الانتليجينسيا
أزمة الخطاب والتخاطب في الثقافة العراقية

(الثقافة, المجتمع العراقي , سوسيولوجيا المعرفة, الدين, الدولة)

د . شاكر سعيد ياسين*

المقدمة

تتعاطى الدراسة الحالية مع وجهين لمشكلة واحدة متطورة في صورة (أزمة) هي أزمة الخطاب الثقافي والتخاطب بين المثقفين في العراق . الأولى هي أزمة ثقافة والثانية هي أزمة مثقفين . تعني الأولى انعدام او عدم بلورة خطاب ثقافي عراقي يمثل حصيلة الجهد الفكري للمجاميع المكونة للثقافة العراقية وهو ما يطرح تساؤلا حول وجود ثقافة عراقية تنافس او تضاهي او تقارن بغيرها من ثقافات الجوار العربي او الاقليمي . وتقف اسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية تركت آثارها ليس على عدم امكانية تشكيل خطاب ثقافي مميز بل وعلى هوية المثقف كذات مبدعة وكانسان قادر على استخدام ادواته الذهنية لابداع منتجه والتنافس في سوق القراءة . اذ لا يوجد تنافس بين المثقفين يكتسب لونا ثقافيا للنخبة المبدعة لانعدام ملكة النقد والاستعلاء على المنتج المحلي نتيجة لترسخ صورة نمطية بذكاء المؤلف الغربي (وحتى العربي) وعلو كعبه مقارنة بالعراقي, باستثناء الكتابات الناقدة للنصوص الأدبية كالشعر والقصة والرواية, وهذا يعني بالتالي ان السمة الغالبة للثقافة العراقية لازالت سردية شعرية لا تفعّل الجانب التحليلي والنقد الاجتماعي لضعف او غياب المؤسسة الثقافية التي تحتضن مثل هذه المسألة الهامة لإدارة نشره وتوزيعه. يكفي ان اتحاد الكتاب حاضنة للشعراء وكتاب القصة والرواية ولا يضم المؤلفين في العلوم الاجتماعية والنفسية .

الأزمة الأخرى المرتبطة بالخطاب هي أزمة التخاطب التي تصب في الأبعاد النفس – اجتماعية بين ذوات الثقافة . فهناك اولاً ترهلا في الخطاب الثقافي الداخلي بين اعضاء يقتسمون التحصيل العلمي ويفترقون في انتماءاتهم وولاءاتهم الدينية والعرقية والاجتماعية (طبقة , عشيرة ..) وثانياً عدم قدرة هؤلاء الأفراد غير المتجانسين على تشكيل اتجاه واحد يمثلهم لعدم امكانية التنازل عن ولاءاتهم القديمة. وترتب على ذلك ثالثاً محاولة لتكريس فصام الثقافة والمثقفين بانشطار المفهوم الأخير الى مثقفي الداخل ومثقفي

*تدريسي في قسم الانثروبولوجيا والاجتماع- كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

الخارج ما يشي بوجود محاولة لإقصاء وتهميش او عزل احد الطرفين عن الآخر , وتبلور ذلك في صورة استعلاء مثقفي المنافي على مثقفي الداخل كونهم ينهلون من ثقافة الآخر الغربي الذي نفوا اليه. او استعلاء مثقفي الداخل على اقرانهم الذين تركوا البلاد باعتبار ابناء الداخل الاكثر صبرا وتحملا لاضطهاد السلطة. وكل ذلك سيصب في النهاية عن ان النخبة المثقفة لن تتمكن من إنتاج خطاب عراقي مميز ينافس بنتاجه الخطابات المعاصرة.

إشكالية متجددة

لم يكن انطونيو غرامشي الذي صاحب صعود الفاشية واستبداد الايدلوجيا منقطعاً عن الفضاء الثقافي الذي يفور بسلسلة من الأفكار والنظريات في إعادة تنضيد وتكرار مملة, بل كان متقاطعاً معه وناقماً على نرجسية المثقف الذي ينعم بالفكر النظري ومنزويا لكتابة الشروحات والتفاسير على ما دونه قبله من المثقفين الكبار .

أدّت به رهافة حسه وواقعيته ان يشنّ حربا فكرية ضد من ينتمي اليهم – المثقفين – بصياغة مفهوم المثقف العضوي كوسيلة إيقاظ من حقن الافيون والابراج العاجية التي ينعمون في العيش بها. بهذا الطرح يناهض غرامشي الأفكار القائلة بـ " استقلالية المثقف عن الطبقات الاجتماعية ورؤيتهم كطبقة او كشريحة اجتماعية منفصلة وحيادية في الصراع الطبقي والتقدم التاريخي للمجتمعات . فالمثقفون لا يوجدون هكذا , معلقين في الفراغ ومعتكفين في الابراج العاجية يتفرجون من وراء قلاعهم الفكرية على معارك وصراعات المجتمع بعيداً عن شظايا الحروب الاجتماعية وديالكتيك التناقضات وتصورات الناس وغليان الايديولوجيا "[1] .

والعمل على ذلك من خلال مستويين :

الأول: هو تنظير الممارسة السياسية للطبقة الاجتماعية وانتاج معرفة بدورها ووظيفتها, اي القيام بعمل ثقافي يهدف لتأسيس تصور العالم المتضمن في الممارسات السياسية .

الثاني: نشر وتعميم واذاعة تصور العالم وسط الطبقات الاجتماعية الأخرى, العمل الذي يتطلب بلورة نقد أساسي من طرف المثقفين العضويين للايدلوجيات الأخرى التي تشوه الوعي الطبقي الذاتي المستقل للطبقة الاجتماعية التي يرتبطون بها عضويا[2].

قال ذلك وهو يبتدع مساراً مشاكساً لمسار المثقف التقليدي , علامة الحطام الثقافي الاجتماعي الذي بقي من انفجارات ماضية . ففي الوقت الذي ينشغل فيه المثقف التقليدي بالبناء الفوقي باجترار معلوماته من خطابات سابقة , يكون المثقف العضوي " اسمنتا " بتعبير غرامشي يربط بين

البناء التحتي والمجتمع الذي ينتمي اليه كعضو, مع البناء الفوقي الذي ينتمي اليه فكرا .

وبعكس غرامشي , حاول منهايم تحرير المثقفين من الانتماءات الطبقية والحزبية كي تكون فئة تفكر بالجميع وللجميع وتمسك العصا من الوسط. نادى منهايم بالمثقفين " اللامنتمين " اجتماعيا الذين يعتبرهم " جماعة لا طبقية نسبيا, تتأرجح وتتحرك في مرتبة وسط بين طبقات المجتمع الحديث من دون ان تشكل طبقة وسطى ... هذه المرتبة الوسطى المتحررة من اي مصلحة طبقية او حزبية التي يشغلها المثقفون في الفضاء الاجتماعي الحديث, والتي تلتقي فيها المصالح الطبقية المتناقضة كلها وتجتمع في اطارها كل الاداليج والطوباويات وأساليب التفكير, هي التي تؤهل المثقفين موضوعيا, بالاضافة الى عامل التربية, لكي يقوموا بعملية التركيب المنطقي لاساليب التفكير الطبقية كلها .." [٣].

وبرغم ان هناك جدليات شائكة حول أصل وأصالة المثقف والدور الذي يمكن ان يلعبه , فان هناك إجماعاً على حركية المثقفين وخروجهم من الأطر التقليدية التي تنتج افكاراً بائدة لا تتلائم وروح العصر. شكل النخبة المثقفة التي لا يريد لها منهايم ان تكون طبقة وانما رتبة وسطية هو الشكل الناقد, الهجومي لا المدافع عن الأفكار السائدة التي تدفع باتجاه الماضي والحفاظ على هيمنة طبقة او حزب او فرد بعينه . والمبنى الأساسي للفكر النقدي عند النخبة المثقفة هو في تشكّل الخطاب الذي يعبر عن روح الثقافة لا بوصفه نسقا لغويا وحسب بل ونسقا فكريا يتواصل بفاعلية عبر الزمن والمكان .

يرى فوكو في الخطاب " نمط من أنماط تنظيم المعرفة في علاقتها بالمؤسسات المادية , ومن ثم فليس بمفهوم لغوي في الأساس بل له علاقة بممارسات السلطة وصورها التي غالبا ما تتجذر في تنظيمات تسيطر وتتبني على معارف منهجية متميزة "[٤]. والخطاب المتميز يفتقر الى نخبة متميزة تحتضن مفرداته وآلياته وتمارس من خلاله دورها الفاعل. بعكس ذلك لن يكون لدينا مثقفون وانما عدد من القراء ودارسي الثقافة .

بمثل هذا النموذج اندفع عبد القادر جغلول ليصف تأخر الموقف النقدي الجزائري بالقول : " ان هناك مثقفون وليس انتليجينسيا " ناعيا الخطاب الفكري للمثقفين الذين يعيدون إنتاج مخططات التفكير والسلوك والقيم المحددة من طرف الدولة الوطنية التي ظهرت ابتداء من ١٩٦٢ . المثقفون سديم ضبابي يتكون من مجموعة من الأفراد بدون نسيج فكري وثقافي يربط بينهم , وغالبا ما يعيدون إنتاج خطابات وجدت قبلهم . اما الانتليجنسيا فهي مجموعة اجتماعية حقيقية لها وظيفة

إنتاج رؤية نقدية او دراسة المجتمع والاستماع الى حركاته لوضع وبناء مفاهيم ومصطلحات تفسر التغيرات الواقعية وتصيغ الطموحات الحقيقة التي تعتمل فيه " [٥].

أزمة بنيوية

التأكيد على بنيوية هذه الأزمة يتضح من ان عملية التفكير ذاتها لا تتم إلا داخل ثقافة بعينها وبواسطتها , أي التفكير من خلال منظومة مرجعية تتشكل احداثياتها الاساسية من محددات هذه الثقافة ومكوناتها , وفي مقدمتها الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظرة الى المستقبل ,بل النظرة الى العالم , الى الكون والانسان , كما تحددها مكونات تلك الثقافة [٦].

وفي نقطة ضوء عراقية يقول التشكيلي فيصل لعيبي في شهادة له حول الثقافة العراقية : " تم تبعيث الثقافة والتعليم والتربية والفنون والادب والفلسفة والدين والمجتمع والشوارع والساحات والمدن " والمشكلة الاهم ان هذا التبعيث " موجود في إنتاج مثقفي النظام في الداخل والخارج ايضاً , وربما حتى لدى اولئك الذين يدعون انهم طلقوا النظام ثلاثاً وجاؤوا يطلبون الصفح من اخوانهم في المنافي والملاجئ البعيدة " [٧].

كان بامكان مثقف الخارج وفي فضاء ديمقراطي يسمح بالكتابة ان يمارس حريته في النقد من دون وجل , فلماذا هاجرت معه مرجعيته البعثية ؟ السؤال الآخر الكاشف عن أزمة النموذج الفكري هو: لماذا رفع المثقفون الشيوعيون بعد تظاهراتهم المعارضة للحكومة الحالية في شارع المتنبي وساحة التحرير صورا للثائر تشي جيفارا في بلد بالكاد يعرف من هو جيفارا ؟ هل افتقرنا الى الثائرين ام انه فقر الفكر ؟

أزمة الخطاب الحقيقية في بنيته, تساعده موانع السلطات والتابوهات السياسية والدينية. لذا فان الجابري عندما يتناول أزمة الابداع في الخطاب العربي المعاصر يحمّل " النموذج / السلف " القسط الأوفر من مسؤولية افشال الفكر العربي , سواء تعلق الأمر باطروحات الداعية السلفي او الداعية الليبرالي او الداعية الماركسي . فهناك دوما نموذج / سلف يشكل الاطار المرجعي لكل منهم يغذي عوائق التقدم والابداع في الفكر العربي . والفكر العربي سجين " بدائل " ويدور في حلقة مفرغة لا يتقدم إلا ليعود القهقرى لينتهي به الأمر لدى كل قضية إما الى احالتها على المستقبل , وإما الى الوقوف عندها مع الاعتراف بالوقوع في " أزمة " والانحباس في " عنق الزجاجة " [٨].

في ضوء ذلك تتقيد عملية النقد لخشية المثقف من التخلي عن مرجعياته من جهة ومن غضبة الشارع والسلطة اذا ما تخلى عن تلك المرجعيات وحاول

نقدها . والنوع الأخير ربما يعيش في صراع نفسي مرير بين هواه الثقافي وتحقيق رغبته في الابداع وبين القيود التي تكبل مسيرته الفكرية .

لنقل بشكل اوضح ان الأزمة البنيوية في شكل ومفهوم الثقافة العراقية هي غياب التفكير النقدي الذي يسعى لهدم المسلمات والمحرمات والسلطات المحافظة , وبناء فكر يتسع لمفاهيم متغيرة ومنسجمة مع تحولات العصر . على المثقف كلاعب حقيقي لدوره ان " لا ينتظر اذناً من الدولة لكي يعارضها " كما نطق المفكر العراقي هادي العلوي [٩]. وبالمثل عليه ان لا ينتظر اذناً من المجتمع لكي يعارضه .

المعارضة , النقد , الاقتحام الى حدّ المجازفة , هي المكونات الاساسية لبنية الخطاب , والتي تفتقر اليها الثقافة العراقية التي لازالت تكرس نفسها كثقافة سردية شعرية تحتفي بالشعراء وتقيم مهرجانات لقصيدة النثر وطبع الدواوين , اكثر من احتفاءها بالنقد وصنع المثقف ومحاولة لملمة الشتات والتشظي الفكري .

الفكرة التي طرحها هادي العلوي بجرأة في وقت افتقر اكثر المثقفين العراقيين لجرأته هي " ان تتماهى حقيقة المثقف مع حقيقة المعارضة , اذ بالقدر الذي يصنع المثقف معارضته للسلطة , تصنع المعارضة المثقف الحقيقي " [١٠].

قد تؤدي هذ الفكرة في معارضة السلطة بحياة المثقف عندما تكون الدولة بوليسية مفترسة كما كانت في عهد النظام البعثي. يروي حازم صاغية بان نظام البعث عام ١٩٦٣ حرم الحيادية واللابعثية في الوظائف العامة والجيش, وجاءت المحطة الانفجارية باعتقال الأمن ٣٨ ضابطاً حكموا بالاعدام الذي نفذ بالكثيرين منهم, وفي أواخر أيار عام ١٩٧٨ بلغت الاستدعاءات والاعتقالات ما مجموعه سبعون الف شخص في عموم المحافظات العراقية[١١]. وفي مثال آخر مقتبس من رسالة بعثها الروائي صلاح صلاح للباحث وسمها بعنوان " الاوجاع " يذكر كيف اعدم النظام والدته لانتمائها الى حزب معارض . ولم يكتف النظام بذلك بل ظل يلاحق الأديب حتى اضطر الى ان يهرب بجلده خارج البلاد بعد اكتشاف اجهزة الأمن لوظيفته كمراسل لاحدى القنوات وهو عمل كان يتخوف منه الحزب والقائد [١٢].

الفضاءات العراقية : المجتمع , الدولة , الدين , نسجت **ثقافة نفي الثقافة** وقهر المفكرين لغرض البقاء في الأطر المرجعية حسب النموذج / السلف كما ذكر الجابري آنفاً . من جهة أخرى, لا تشي معارضة المثقف ونقده بالخصومة والقطيعة بقدر ما تعبر عن التقاطع مع ظاهرة او عرف مهيمن او سلطة جائرة, وبقدر ما تعني رغبة حقيقة

داخل نفس المثقف لبناء فكر حر لا يلغي الآخر, وتشكيل هوية خطاب مميزة تنال شرعيتها من حريتها . وفي حال مغايرة تبقى الثقافة أسيرة التوجهات الفكرية والعقدية للمرجعيات السائدة . ولا فرق عندئذ بين تبعيث الثقافة او أسلمتها او أمركتها , مادام الخطاب مُهيمناً عليه بشكل إكراهي منظم .

هكذا ينطلق فوكو من فرضية مفادها ان إنتاج الخطاب " اي خطاب " في كل المجتمعات هو إنتاج مُراقب , مُنتقى ومنظم , بواسطة عدد من الإجراءات التي تلتقي – رغم تنوعها – في هدف واحد هو مراقبته وتنظيمه والتحكم في سلطته والسيطرة على مخاطره [١٣].

حصار الفكر

لقد حاصر النظام السابق الثقافة العراقية الى مستوى توجيهها القطبي المركزي نحو القائد والثورة والحزب , وإزاحة بل وتدمير التوجهات غير الحزبية , الأمر الذي أنتج شللاً تاماً في الإنتاج الفكري والابداعي واثر حتى على الوعي السياسي لعدد من المثقفين بعد حلول النظام الجديد . اذ بقيت بعثنة او تبعيث الخطاب الثقافي عالقة في اذهان عدد من الكتاب والادباء في مقدمتهم عبد الرزاق عبد الواحد وعباس جيجان[١٤] ومن على شاكلتهم, بل وكتّاب عرب تأثروا بأمجاد وصولات قائد الأمة بينما لم تهتز مشاعرهم على ضحايا صواريخ علي كيمياوي التي ارسلها الى كردستان وأعمال الابادة الجماعية في جنوب العراق والحصار الذي فتك بالعراقيين طيلة ١٣ عام.

المذهل والمؤثر ان بعثنة الخطاب الثقافي لم يقتصر على الفكر وحسب بل عمدت الآلة الحزبية الى تأطير الثقافة بإطارها الحاد والمتشدد ماديا كفرض البدلة الزيتوني واقتناء المسدس التي تتوسع من اشكالها المادية الى الرمزية السلطوية .

يذكر محمد الاخرس بهذا الصدد ذلك المشهد الغريب الذي كان يطلّ به رعد بندر [شاعر ام المعارك] إبان ترأسه منتدى الأدباء الشباب , في بداية عقد التسعينات , فقد كان المسدس معلقاً بشكل بارز تحت سترته . ويستعيد صورة الشاعر وسام هاشم أثناء اقامة مهرجان الأمة الشعري عام ١٩٨٤ , اذ كان عليه حمل جهاز لاسلكي لدى تنقله في القاعات وبين الضيوف لانه كان مكلفا من عدي صدام ان يكون على اتصال دائم به أثناء المهرجان [١٥].

المثقف العراقي يتملكه الخوف من السلطة دائما , شأنه شان العامة من الناس في البيت والشارع ومكان العمل . الخوف من سلطة الدولة والتقاليد الاجتماعية والثقافة الدينية كما سنبحث . وهذا الخوف تكرس أخيراً في هشاشة

وضعف الى حد العوق الفكري العاجز عن إنتاج الخطاب الثقافي. وبسبب الخوف يصبح المثقف ذو شخصية ازدواجية الى الحد الذي يصاب بالنفاق بدون ان يعي ذلك. يقول عالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرون, ان الطبقة الحاكمة كلما قربت المثقفين من عرشها كلمت خفت حدة نقمتهم عليها, بل سايروها ومدحوها وخلقوا لها من مبررات البقاء. أما اذا ابعدتهم عنها فان ذلك يجلب لها انواعاً من الشتائم والنقمة ومختلف أصناف الاتهامات والدعوات بقرب الزوال[١٦]. وقد ابتلي بهذا الداء عدد من مثقفينا المعروفين الذين مالئوا السلطة حينا ثم شتموها حينا آخر بنفس الطريقة التي اختطها المتنبي من قبل .

احد هؤلاء هو شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري الذي اهدى قصائده الى محمد بن الحسن البكر وصالح مهدي عماش وحافظ الاسد وغيرهم من الجلادين, لكن نظام البعث نفاه واسقط عنه الجنسية [١٧]. والمثال الآخر هو عزيز السيد جاسم الذي اختفى في ظروف غامضة وتدور قصص حول اغتياله من قبل أجهزة الأمن البعثية, بينما كان المناصر الاكثر حماسة لتأييد النظام منذ سبعينات القرن الماضي كما في كتبه : أجراس الرؤية, حزب البعث والثورة الواقعية وغيرها كثير.
وبعكس ما أراده العلوي في المثقف المعارض للسلطة , الذي لا يهادن احداً , فان مثقفينا وابتداءاً من خمسينات القرن الماضي اختزلوا العقل النقدي والافق المفتوح على المستقبل وكانوا والى الآن سجناء النماذج الأصلية " او الأصولية " .

وعلى الرغم من تأثر الحركات الادبية والثقافة بشكل عام بموجة الحداثة والهياكل الجديدة للتفكير , إلا ان الأطر المرجعية هي التي تحكمت في ذات المثقف حتى سلبته حريته في النقد . يصف فاضل العزاوي الجيل الخمسيني والستيني بنبرة حادة فيقول : " في نهاية الاربعينات وخلال الخمسينات لم يكن الافق الفكري والسياسي لمعظم الشعراء والكتاب والفنانين العراقيين , بغض النظر عن مستوى مواهبهم العالية , اوسع كثيرا من افق الحركات السياسية التي ارتبطوا او تأثروا بها او كانوا قريبين منها . لم تكن الحداثة الادبية والفنية تعني في نظرهم شيئاً آخر سوى انها انعكاس لنماذج الحداثة السياسية والاجتماعية التي كانت تقدمها لهم هذه الاحزاب والحركات , وهي نماذج اثبت التاريخ نفسه مدى قصورها في وعي إشكالية الحداثة داخل المجتمع العراقي , وضمن علاقاتها بالحداثة العربية والكونية " [١٨].

هل نكتفي بالقول ان الخوف المسكون في قلب المثقف والذي تحول الى يده المرتجفة من النقد, هو خوف مكتسب من الدولة المتغوّلة. ان هذا الأمر يستوعب تحليلاً أعمق يرتبط هذه المرة

بما يسمى في العلوم الاجتماعية بـ " الثقافة والشخصية " . يشير كوتاك الى وجود علاقة بين النظام - بما فيه الثقافة - وبين الفرد الذي يكون مقيدا بأدواره وادوار الآخرين. وهو يقوم باستدخال internalize المعاني التي يتلقاها من مجموعته . بالمقابل فان الافعال والممارسات اليومية من قبل الأفراد تقوم بتشكيل الثقافة او إعادة تشكيلها [١٩].

الثقافة ككيان رمزي مسؤولة عن بناء شخصية الانسان بالشكل الذي ينسجم وشروطها هي لا هو. وهي تصبه في قالب نمطي لا يملك عنه فكاكا. واذا ما شئنا التعبير بمفاهيم بورديو فان الثقافة تمارس عنفا رمزيا على الانسان منذ ولادته وحتى نهايته, عندما تضع القيود بشكل النواهي والمحددات وشروط التصرف في الوقت الذي يقوم الانسان نفسه بالتواطؤ معها لأسر الآخرين ضمن حدودها كونه جزءا منها .

في مجتمعاتنا العربية – والعراق تحديداً – يعيش الانسان في حالة خوف داخلي رسخته الثقافة منذ الصغر . لنسمه الخوف الثقافي المستولد هو الآخر من ثقافة الخوف . ينشا الطفل على الضرب والتعنيف من الوالدين والاخوة والاصدقاء في الشارع والمدرسة. عند البلوغ يلاحقه الخوف مثل ظله , فيهاب رجل الشرطة والمدير واستاذ الجامعة ..[٢٠] خوفه هذا هو الذي جعله يفكر بالغيبيات واللامعقول لطمأنة نفسه التواقّة الى الامان . فيعتقد بالحظ والنصيب وإقحام الزمن والقدر في كل شأن من شؤونه .

المثقف كفرد وكجزء من المجتمع موضوع تحت تأثير الخوف الثقافي في توقع لاحتمالية مواجهة العنف المادي من الجهة التي يكتب حولها او ينتقدها . يمارس البعض حيلة الكتابة باسماء مستعارة لاقصاء ذاته الحقيقية من اخطار وملابسات وشيكة الحدوث , مثلما فعلها كنعان مكية في عهد النظام السابق وكارزان كريم حالياً [٢١].

في المبحث التالي سنتناول محددين من محددات الخطاب الثقافي العراقي وهما الثقافة الدينية والسلطة السياسية لاعتقادنا بانهما الاكثر فاعلية في تعويق البناء الناظم لثقافتنا .

محددات الخطاب الثقافي العراقي

اولاً : سطوة الثقافة الدينية

ان احدى القضايا التي تقف حائلا من دون تمكين الخطاب هي ان الثقافة الاجتماعية في العراق ثقافة دينية , فضلا عن فاعلية الخطاب الديني الذي يجد أرضه الخصبة بشكل يستمر في اليوم والاسبوع طوال السنوات التي تلت سقوط النظام كما نراه في القنوات الفضائية [٢٢].

ففي عام ٢٠٠٩ شرعت محافظة النجف باقامة معرض للكتاب شاركت فيه عدة دور نشر كان من بينها دار

الجمل المعروفة . وقد عرضت هذه الدار ضمن منشوراتها الكثيرة والمتنوعة روايات للكاتب الانكليزي - من اصل هندي – سليمان رشدي صاحب الآيات الشيطانية التي أُهدر دمه بسببها , وعرضت ايضاً كتبا للمفكر الايراني عبد الكريم سروش الذي يرى مثل اركون بوجود تاريخية للنص القرآني وتطور قراءاته عبر الزمن , وكتب أخرى لمعروف الرصافي . لدى افتتاح المعرض قامت ادارته بمنع دار الجمل من عرض منتج هؤلاء الكتاب والتهديد بمنعها من المشاركة في حال عدم موافقتها . اضطر مسؤول الدار الى عرض بضاعته مستثنياً مؤلفات سروش ورشدي والرصافي لتعويض خسائر محتملة. وتكرر الموقف ذاته في معارض لاحقة.

على ماذا تؤشر مثل هذه الحادثة . وهل هي حالة نمطية ؟

من المؤسف انها نمطية , اي حالة راكزة ومتكررة سواء تعلق الأمر بدار نشر او باقصاء مثقف من دائرة الفعل . وهي تؤشر على مدلول هام في بحثنا هو الانشطار الحاد بين الثقافة الدينية والثقافة النصية (ثقافة المثقفين) . المؤشر يقود الى فرض القيود والمحددات بصورة مباشرة وقصدية كما في المثال اعلاه , او غير مباشرة كما في الخوف المسكون في ذهن المثقف من سطوة الثقافة الدينية .

بالرغم من تلاعب رجال الدين بألفاظ الحرية في الاعتقاد والفكر , غير ان توجسهم من النقد يدفعهم الى ممارسة العنف رمزياً كان او مادياً . فهو خوف متبادل بين الفريقين , رجال الدين يخشون من النقد الفكري , والمثقف يخشى من العنف .

مشكلة الموقف الديني ازاء الثقافي تتحول الى أزمة تنذر بالانفعال والخطر من سلب الحرية في الكتابة والنشر في الوقت الذي يتفيهق الدعاة بحفظ الاسلام للحريات الفردية والفكرية. لابد اذن من الممايزة بين موقف الثقافة الدينية من الدين نفسه. الأول يمثل ما يضيفه الفاعلون الاجتماعيون من اراء وقيم ورموز ومعتقدات على النص الديني. والثاني يمثل موقف الدين نفسه من دون اضافة.

لقد كان التوسير على صواب عندما اعتبر المؤسسة الدينية جزءاً من الاجهزة الايدلوجية للدولة الى جانب الاعلام والفن والادب. اذ اعتبرها مشاركة في القمع الايدلوجي للشعوب من خلال ما يسميه التبعية الاختيارية حيث يعتقد الناس بأنهم أحرار لكنهم في الواقع سجناء ايدلوجيا تشعرهم بأنهم أحرار[٢٣].

فالثقافة الدينية لا تخلو والحالة هذه من نوازع للسلطة والدخول في مسار الايدلوجيا لتبرير وجودها الفاعل الذي

ينضج بفعل التحالف مع السلطة السياسية. وبالتالي نجد تعبيراً لانسحاب الديني عن الثقافي والنخب المثقفة . ولعل في مفهوم " الجهل المقدس " الذي سكّه اوليفيه روا في سجال طويل شمل كافة الاديان والطوائف تطبيقاً لهذا الانسحاب في المجتمع العراقي . يقول روا : " ينقلب الديني على الثقافة المحيطة التي لم يعد يُنظر اليها بوصفها ثقافة دنيوية بل تعتبر ثقافة وثنية ..تختفي المسافة ما بين الاثنين , مسافة التوافق . وتكون الرغبة اذ ذاك منصبة على وضع تعريف بما هو " ديني" " [٢٤].

الأصولية الدينية اصدق التطبيقات على الثقافة الدينية التي تقف مضادة او معادية للنخب المثقفة . يرى " الاصولي ان معيار الانفصال هو الايمان : لا نتقاسم إلا الايمان " [٢٥].عكس التوافقية التي ترى ان من الممكن تقاسم الثقافة مع الآخر . وهذا الأخير يمكن ان يثبت القيم ويغير من المعايير التي تتطور مع الثقافة . بينما الاصولي يدعو الى الثبات دائما والقطيعة مع الثقافة . بكلمة أخرى انه متخوف منها لانها نتاج بشري مغري ويطمح الى الهيمنة والسلطة الرمزية التي تحاول الثقافة الدينية حصرها في رجالها .

في عام ٢٠٠٩ قامت دار الشؤون الثقافية بطبع ونشر كتاب للشيخ محمد حسن آل ياسين : " هوامش على نقد الفكر الديني " الذي ردّ فيه على صادق جلال العظم . ومن قبل نشرت كتاب عبد الفتاح ابراهيم " طريق الى الهند " بينما لم تتجرأ لطباعة كتابه عن الماركسية الذي سبق وان نشرته دار الطليعة .

التساؤل الذي يشكل مفارقة بين الديني والثقافي هو: لماذا لم تقم هذه الدار بطبع كتاب جلال العظم " نقد الفكر الديني " الذي نال شهرة واسعة منذ أواخر الستينات في القرن الماضي, وكتاب عبد الفتاح ابراهيم عن الماركسية بينما تم نشر أكثر من كتاب للمفكر الاسلامي محمد باقر الصدر[٢٦]؟ تنطوي الإجابة على شقين :

١- خوف الفاعلين في الثقافة الدينية من " غزو " محتمل للنتاج الثقافي والادبي قد يؤدي الى التوتر وانتشار افكار الشك والالحاد او الحياد الديني . وهذا قد يطيح بسلطة المرشحين في الانتخابات من الاحزاب الدينية التي تعتمد كليا على المعتقدات الروحية لناخبيها . وقد يؤدي طبع مؤلفات العظم ورشدي وسروش الى شكوك في النص الديني وخسارة متوقعة للسلطة .

٢- ان القائمين بإدارة دار الشؤون الثقافية هم من مثقفي السلطة وينتمون بشكل جذري لأحزاب السلطة الحاكمة , ويشكلون علاقة عضوية بين مكانتهم الادارية وثقافتهم الدينية لصناعة سلطة تجمع بين الادب والدين والسياسة .

الصراع بين الثقافتين , الدينية والنصية هو صراع الروح والعقل . تطمح

الثقافة الدينية الى هيمنة الروح بينما يطمح المثقفون الى هيمنة العقل " النقدي " الشغوف بالتطور الفكري , وهو ما يشكل هاجسا مخيفا لدى الدعاة.

الشيخ والافندي

رمزت رواية الوليمة العارية للروائي علي بدر لهذا الانقسام بين الثابت والمتغير, الروحي والعقلي, في بغداد العثمانية بين شخصيتين ترمزان الى الصراع الحقيقي بين الديني والثقافي / الادبي وهما الشيخ أمين ومنيب افندي .

في الفصل الأول الذي حمل طرازا انقساميا اطلق عليه المؤلف بلغة معبرة مفهوم " شقاق " يضع على لسان الأفندي كلمة صادمة : " لا حياة لنا إلا مع اوربا " وكان الأفندي يحلم من ذلك الوقت بان تحل " الجامعات محل الجوامع , المتاجر الكبيرة محل السلخانة والمصارين والدم الرائب , التراموای محل الحمير والبغال , الطبيب محل المجبراتي. .لماذا لا تصبح بغداد او دمشق مثل لوندرة او باريز ؟ ", بينما كان الشيخ أمين يحلم بسحر العصور الآسر حين كان التتار بسروجهم الصغيرة ورؤوسهم الحليقة يعبرون الى الصوب الآخر من البحر. يحلم بابتعاث الاسلام من بخارى التي تتيه مناراتها المدببة وسط الضباب المغولي الى شيراز بقببها الزرق وفسيفسائها الذي ينام على البحر الاسود ..يحلم باحداث التاريخ التي تبعثها الروح الغزوية والسعي وراء اجتياح كبير[٢٧].

دفع المؤلف بتلك الثنائية المتصارعة بين حاملي الثقافة الدينية والعقلانية التحديثية بروحية الخلاص لكل من الثقافتين . كان كل واحد منهما يتساءل: اين خلاصنا ؟ الأفندي يصرخ: " العلم .. اوربا ", والشيخ يصرخ: " الاسلام .. الأمة ". وعندما التقى الاثنان في بغداد في القهوخانة الكائنة على نهر دجلة , " تجدد الخلاف الذي قسم الانتليجينسيا العراقية شيوخا وافندية الى قسمين. لقد شهدوا مرحلة من اخطر مراحل التاريخ, وقد تجدد النقاش مرة أخرى حول معرفتين وثقافتين وتأريخين مختلفين. لقد انقسمت الأمة بين العمامة والبرنيطة, بين العباءة الدينية والبذلة الافرنجية ... وقد اصبح الزي هنا نوعا من الرسمال الرمزي وهو يحدد المصائر التي كانت تتجدد وتتحول لا على الارض حسب , انما في الضمائر ايضاً " . اتاحت الرواية لنفسها ان تقول , اعتمادا على تاريخ المرحلة, بـ " تقهقر نظام معرفي - رمزت له العمامة - باكمله , امام نظام معرفي جديد قادم من الغرب تبناه الافندية , فكانوا مثل ضاربي الرمل وقد صنعوا لنا بامتياز فوضانا الملحمية" [٢٨].

تطرح ثنائية الشيخ – الأفندي نفسها في سياق شك متبادل يصل الى حد الخوف ضمن بيئة اجتماعية ترتكز على البنية

البطركية, لا تنظر الى المثقف / الأفندي بوصفه جزءاً او عضواً منسجماً مع الكل, وانما بوصفه خارجيا/ لامنتمياً outsider الى المستوى الذي يعامل فيه كآخر يدين بولائه الى الغرب والمستعمر.

بالمقابل ينظر المثقف الى وسطه كـ (آخر) ينتمي الى عصور متآكلة ينخر فيه التخلف والجهل. يضع هشام شرابي هذه الرؤية الانقسامية الشكية في سياق الابوانية المستحدثة بالقول: " ان الخواجا اي المقابل الاوربي للافندي, ينشأ بموازاته على انه المعادل الاجنبي للمكانة والنفوذ. وتقف عقدة الخواجا شاهداً على النقص في الثقافة المحلية مقابل تفوق كل ما هو اوربي. ولذا فعلى كل من اراد الجودة والقوة والمقدرة والصدق ان يتمثل بالاوربيين" [٢٩].

هذا الشك النرجسي دفع ببطل رواية " قنديل ام هاشم " ليحيى حقي الى الازدراء بواقعه الاسري والاجتماعي المتخلف حتى ينحاز الى المستعمر الغربي بوصفهم " اخواننا المحتلين " ويصمّ أبناء جلدته المصريين بانهم : جنس سمج ثرثار, اقرع أمرد , وان مصر قطعة مبرطشة من الطين أسِنت في الصحراء , تطن عليها أسراب من الذباب والبعوض[٣٠]. غير ان وجوده في وطنه وعجزه امام مجتمعه جعله يعيش صراعات ممضة لم تثمر سوى عن حل مؤقت في تحطيمه للقنديل وهو عمل يرمز الى محاولته تحطيم التقاليد.

وهناك التباس مفاهيمي , فتقهقر العمامة / الثقافة الدينية لم يكن نهائياً , كما لم يكن تراجعاً حاسماً أمام ثقافة اقوى. كان انزواءً مؤقتا نحو الذات لمحاكمة الأخذ بالحضارة الوافدة من عدمه وفقا لشريعة الحلال والحرام. وتحول بعد سقوط دولة الخلافة الى صراع قوي ومتجذر بين الثقافتين قذف بآثاره على الشخصية العراقية التي ما برحت متخمة بحوامل تجمع بين الروح والعقل , بين الفقيه المجتهد والسلطان الحاكم, بين اناشيد باسم الكربلائي واغاني كاظم الساهر, بين الجامع والجامعة ... خصوصا لدى فئة الشباب الذين يقعون في مفترق السبل لدى استقبالهم معالم الحياة الجديدة.

واذ شهدت بداية القرن صراعاً فكرياً بين الديني والثقافي, فان مرحلة لاحقة هي مرحلة انتشار الفكر المادي الشيوعي احتدمت فيه المطارحات الثقافية الى الحد الذي امكن للشيوعية ان تتكثف بشكل ايدلوجيا فاعلة في الوسط الثقافي فضلا عن طموحها السياسي الذي تبلور في الحزب الشيوعي العراقي على يد فهد .

شواهد من التاريخ

هكذا وفي وسط اجتماعي يعتاش يوميا على الثقافة الدينية, اصطدمت الشيوعية بتهمة الالحاد الموجهة اليها

من قبل المؤسسة الاهم في العراق وهي الحوزة , حين اصدر السيد محسن الحكيم فتواه الشهيرة بحرمة الانتماء للشيوعية كوسيلة لقطع الصلة مع ثقافة الخارج / الوافد .

لكن النشاط الفكري الديني الاهم في تلك المرحلة جاء على الفقيه والمفكر الاسلامي محمد باقر الصدر الذي عكف على نقد المذهب الماركسي وسخّر ادواته الفكرية منذ وقت مبكر من عمره لتفنيد طروحاته ومن ثم جرّ البساط الى جهة الحوزة في عملية اعادة بناء للعقل الاسلامي. فكانت سلسلة كتبه: فلسفتنا, اقتصادنا, الاسس المنطقية للاستقراء... ذائعة الصيت دعائم أساسية للاسلاميين لكشف تناقضات الفكر الماركسي, في حين اعتبرها العلمانيون كتابات لاعقلانية. يكتب عبد الجبار عن باقر الصدر فيقول: " ان نظرياته الاقتصادية والسياسية لا عقلانية بالكامل, ولا صلة لها بالراديكالية. فهي دفاع مستميت عن حرية العلاقات الاقطاعية بالاستناد الى مفهوم لا تاريخي للملكية الخاصة ". بالمقابل يعتبر كتابه في الاستقراء " ذرى العقلانية في اطار ظروفه "[٣١].

لكن الصراع يتجدد ويأخذ بالنمو, وكفّة الشيخ بعد ٢٠٠٣ رجحت على كفة الأفندي عندما اكتسحت مشاهد الثقافة الدينية غيرها بقوة في البرلمان والحكومة وبرامج التلفزيون ...والمثير للدهشة ان هيمنة الديني لا يقتصر على المناطق الجنوبية والغربية وحسب, بل امتدت هيمنه الى كردستان المعروفة بطابعها العلماني .

ابرز مظاهر ذلك الصراع المتجدد ما حصل في اربيل من محاكمة الأديب والاستاذ الجامعي فرهاد بيربال وحبسه لستة اشهر بسبب ترجمته لكتاب " نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب " لمؤلفه شهاب الدين التيفاشي, وتغريم مجلة " ويران " الكردية مبلغ خمسة ملايين دينار عراقي (= ٤ الاف دولار) لقيامها بنشر الترجمة . وكتاب التيفاشي هذا معروف على نطاق واسع في الدول العربية , ووصلت طبعاته الى حدود سبعين طبعة , ويرجع تاريخ تأليفه الى اكثر من ٨٠٠ سنة [٣٢].

يتحدث التيفاشي في كتابه الذي يعد من الاصول الايروتيكية التراثية عن الفعل الجنسي في المجتمع العربي والاسلامي في القرن السابع الهجري. ويصف بعض الاحوال التي نعدها اليوم شاذة وغير متوافقة مع العرف والدين [كشروط الزنا واللواط واصناف القوادين...] وكأنها مألوفة ومقبولة[٣٣].

وفي الوقت الذي يبتدع فيه الانسان المعاصر مغامرات وممارسات جنسية تفوق ضعف ما وصفه التيفاشي قبل عدة قرون بفضل تطور وسائل الاعلام والاتصالات وخصوصا الانترنيت , إلا ان هناك خوفًا من تمثل هذا الخطاب

ثقافياً وبشكل رسمي يأخذ بالحسبان مناوئته للثقافة السائدة .

يقع المجتمع الكردي – بضمنه السلطة الحاكمة – في مفارقة الجمع بين العلمانية والدين , بين احتضان المثقفين والتنكيل بهم . وسواء كانت هناك عودة للديني او تحوله " كما يصف روا ", فان الديني وضع نفسه موضع الحاكم الذي يكبل المثقف .

السطوة التي تتمتع بها الثقافة الدينية ومصادرتها للخطاب الثقافي تذكرنا بقضيتين , الأولى هي ما حصل للاستاذ انيس زكي النصولي , اللبناني الذي عمل مدرسا في ثانويات الموصل وبغداد. نشر النصولي اواخر عام ١٩٢٦ في بغداد كتابا بعنوان : (الدولة الاموية في الشام) الذي أثار عاصفة شديدة تستهجن وتستنكر ما توصل اليه المؤلف من أحكام تتعارض ومشاعر فئة كبيرة من الشعب حتى أُتهم النصولي ببث النعرات وتفريق الجماعة الاسلامية . فاتخذ السيد عبد المهدي المنتفكي وزير المعارف موقفاً يتفق ومشاعر الاستياء التي نتجت عن إصدار الكتاب وبادر الى فصل النصولي ومنع كتابه من التدريس تطميناً للمشاعر الثائرة .

المثير ان رجال الدين في النجف هم من طالبوا الملك فيصل بطرد المدرس من وظيفته فأوعزت الوزارة له بالاستقالة والخروج فأبى. وحصلت مظاهرة من طلبة مدرستي الثانوية ودار المعلمين (دبرت بليل - كما تقول جريدة العرفان-) احتجاجاً على اخراجه. وعلى اثر المظاهرات والاحتجاجات تم طرد عدد من الطلبة والمعلمين ومعاقبة عدد آخر, وهو ما دفع بضجة أخرى رفعت فيها شكوى الى المجلس النيابي الذي استطاع اعادة المفصولين. ولما شعر الوزير عبد المهدي ان الاتجاه منصرف الى إعادة الطلبة المطرودين الى مدارسهم استقال من الوزارة. وكتبت جريدة العرفان اللبنانية ان استقالته " لم تخل ان تكون من جملة الآثار السيئة التي خلفها النصولي بكتابه المعلوم " [٣٤].

القضية الثانية وهي الأشهر والتي اثارت لغطاً وشغباً وجدلاً كبيراً منذ عشرينات القرن الماضي هي كتاب العلامة النائيني: (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) الذي اثبت فيه عدم مشروعية الحكم الاستبدادي واحتياج الدولة الى دستور ومجلس شورى, وإمضاء الفقيه الجامع للشرائط حتى تتصف قراراتها بالشرعية [٣٥].

بعد صدور طبعته الثانية في النجف أمر النائيني بجمع نسخه ثم اتلافها بعدما وجد ان الجهود التي بذلت للجم الاستبداد قد أنتجت عكس المطلوب. حيث احتل أنصار الاستبداد مقاعد ممثلي الشعب في مجلس الشورى, كما ظهرت أصابع الأجانب, إضافة الى إعدام الشيخ فضل الله النوري بدون

محاكمة. هذا الحادث الذي بقي وصمة عار في تاريخ المشروطة, وجعلت عموم العلماء المناصرين للدستور متشائمين وفاترين تجاه الحركة [٣٦].

تثير القضيتين والقضايا المعاصرة إشكاليات أمام الثقافة الدينية والمستوى الذي تطمح اليه في محاربة حرية الفكر . فعلى الرغم من التنوع الفكري وتعدد الاتجاهات في الاجتهاد الفقهي , نرى نزعة الهيمنة لفئة او جماعة على أخرى بدافع الدفاع عن الدين والمذهب وصولا الى تكفير الآخر بزعم مخالفته للسنة والقرآن او محاولة اغتياله كما حصل للنصولي والوردي والزهاوي والرصافي..

يتحول الخطاب الديني في مواجهة الثقافي الى خطاب متعسف يطمح بكل وسيلة الى الهيمنة من خلال الثقافة الدينية , ويستغل المشاعر الملتهبة للفاعلين الاجتماعيين المتجهة بحماس انفعالي نحو أبطال الدين والمذهب لترويع المثقفين وإدخالهم في حالة رعب مزمن .

ثانياً : الخطاب والسلطة السياسية

العقبة الثانية في تعويق نشوء خطاب ثقافي عراقي هي موقف السلطات الرسمية من المثقفين والثقافة بوجه اعم . ومشكلة المثقف والسلطة لازالت تفرض نفسها بالرغم من تغير النظام السياسي . كما ان الحرية التي ساد مفهومها عقب ٢٠٠٣ لم تكن متشكلة كمفهوم ينسجم مع الديمقراطيات المعاصرة بقدر ما يتناسب والشخصية العراقية التي تميل نحو فرض القيود على من يهاجم المحرمات الاجتماعية كالكرامة والعرض والشرف, والدينية في الطائفة والمذهب والرمز الديني – أبطال الدين - , والسياسية في الحزب والرؤوس الكبار في الدولة .

فرجل السياسة اليوم يجد في المثقفين فئة مستضعفة لكن مخيفة بنفس الوقت . أدى هذا الخوف الى ان تُشن حملات تصفية جسدية وتهديد واعتداء على عدد من المثقفين والاعلاميين في ظروف تحوم حولها شبهات سياسية .

الحالة الاكثر شهرة لتمثيل العلاقة المأزومة بين المثقف والسلطة هي قضية الشاعر والصحفي بجريدة الصباح احمد عبد الحسين الذي كتب مقالا بعنوان " ٨٠٠٠ بطانية " بتاريخ ٤ – ٨ – ٢٠٠٩ بعد سرقة مصرف الزوية في منطقة الكرادة ببغداد وقُتل فيها ثمانية حراس على يد عصابة كان يرأسها ضابط يعمل في حماية نائب الرئيس العراقي الدكتور عادل عبد المهدي . وجاء المقال ليثير الشكوك حول شراكة المجلس الأعلى الذي ينتمي اليه عبد المهدي في سرقة المصرف . وكان الشاعر يتهكم بمقالته هذه دون ان يذكر اسماً او جهة بعينها .

توجه الأنظار نحو المجلس الأعلى بعد المقالة هو بسبب الآلية التي اتبعها هذا

الحزب في انتخابات مجالس المحافظات بتوزيعه البطانيات للناخبين بعد ادائهم القسم بالعباس ان ينتخبوا مرشحيهم . بنفس الاسبوع بثت وسائل الاعلام كلمة للشيخ جلال الدين الصغير وهو قيادي في المجلس في خطبة الجمعة يتهم فيها الشاعر عبد الحسين بانه " بلا حسب ولا نسب ", وهذه الكلمة اعتبرها الأخير تهديداً له وانزوى في جهة غير معلومة هارباً من مصير مجهول, خصوصاً بعد ان قررت إدارة جريدة الصباح عزله من منصبه كمدير للصفحة الثقافية فيها[٣٧]. بعدها قررت شبكة الاعلام العراقي إقالة رئيس تحرير الجريدة دون التصريح بسبب الإقالة !

لم تتحرر الثقافة بعد من أسر المجالين الديني والسياسي , ولا يحظى المثقف باهمية الحضور سوى في المؤتمرات والندوات التي عادة ما يمولها ساسة البلاد كواجهة دعائية للسلطة [٣٨].

ان تحرك عبد الحسين لم يكشف كثيراً عن الأقنعة التي تتلبس بها الاحزاب لان الوعي السياسي الشعبي لم يعد غافلاً كما كان في الماضي . لكن المثير في مقالته انها جاءت من شخص بعينه وفي جريدة رسمية وجرأة في طرح المسكوت عنه . يقول الدكتور عبد السلام المسدي : " ان رجل السياسة اذا تحدث عن سياسة الآخرين ارتكب محظورا لانه يخرق ميثاق - عدم التدخل – والمثقف يرتكب المحظور الفكري اذا – لم يتدخل - " [٣٩]. واضطر الشاعر لدفع الثمن بالشكل الذي عرضنا له سابقاً .

الخوف متبادل بين المثقف والسلطة السياسية. المثقف يخشى الاعتقال والعنف, والسلطة تخشى من الفضيحة ونزع الأقنعة. لأجل ذلك تأبى السلطة ان يتشكل خطاب ثقافي عراقي يتمتع بحريته في النقد. وهذا ما دفع احد أدباء الخارج ان يكتب بسخط عن الحالة العراقية المعاصرة وعدم اختلافها عن سابقتها:" ان ما نراه في التاريخ وما نراه اليوم في الحاضر ما هو الا تنويع او تجلٍ صدامي لهذا الرمز الثابت منذ نشوء الدولة الإسلامية في العراق قبل الف وأربعمائة عام "[٤٠].

لقد تجرأ فنان يرسم الكاريكاتير قبل سنوات في كربلاء على نقد الحكومة ورجال الدولة بإقامة معرض لرسومه التي كشفت للزائرين والإعلاميين الايدلوجيا التي تتخفى من ورائها الأحزاب الحاكمة والفساد المستشري في مؤسسات الدولة . وعلى الفور توجهت قوات أمنية لاعتقاله فلاذ بالفرار الى بغداد ولا ندري ما الذي حل به بعد ذلك .

تطرح السلطة السياسية نفسها كغول مفترس ينقض على المثقف في حال انتهاكه مقدساتها. وتجهز مواد قانونية ودستورية لتبرير عنف السلطة . كما ان اتحاد الأدباء والكتاب وهو المؤسسة

التي تتكفل باحتضان المثقفين والدفاع عن حقوقهم هي مؤسسة خاملة لا تضمن حماية نفسها. ففي حادثة معروفة ارسل مجلس محافظة بغداد قوات امنية لاقتحام الاتحاد لغرض تخريب ناديه الترفيهي بحجة تعاطي الخمور وازعاج المواطنين الذين اشتكوا من وجوده حسب زعم اعلام مجلس المحافظة. بعد أيام اعلن مجلس محافظة بغداد تشكيل اتحاد ادباء بغداد حاز على اعتراف بعض المنضوين اليه من المثقفين في محاولة للتنكيل بالمؤسسة القديمة. وتكرر المشهد ذاته بعد شهرين من تلك الحادثة وتم الاعتداء على بعض الشخصيات الثقافية والفنية في ايلول ٢٠١٢ وبنفس الحجج السابقة مع وقوف مخجل لهذه المؤسسة ازاء تكرر انتهاكها من قبل السلطة [٤١].

المثقف العراقي امام ثلاثة مواقف في مواجهة السياسي والديني تعيق بمجملها تشكيل الخطاب الثقافي :

١-اما ان يكون المثقف قريبا من السلطتين وبالتالي يصبح مؤدلجاً يستحق لقب مثقف السلطة.
٢- يكون محايداً او صامتاً لا شأن له بكلا السلطتين من قريب او بعيد وبالتالي لن يسهم في عمله التنويري كمثقف عضوي ,ويستمر بآلية العمل " الثقافة للثقافة " كابداع مصمت .
٣- موقف المواجهة التي يحتمل فيها قتل ابداعه ومصادرة كتبه وحصار لافكاره . غير انه سيكون مثقفا فاعلا , متمردا بتعبير العلوي وعضويا يسهم بافكاره في إسقاط هيمنة بعض التابوهات المقدسة .

الابداع عندنا إبعاد, إقصاء وتهميش واعتقال وتخويف. ولم ينج المثقف الاكاديمي من مكابدة عنف السلطة التعليمية التي تقوم بمحاربته اذا ما تجرأ على مغايرة الفكر السائد والمهيمن. فقضايا الأساتذة الجامعيين والمواقف الهجومية لجامعة بغداد وسواها ضدهم لا ينتهي. لنتذكر محاربة الجامعة للدكتور شاكر مصطفى سليم وعلي الوردي وطه باقر ومتعب مناف وغيرهم حتى اعتزلوا العمل الفكري وآثروا التقاعد على المواجهة غير المتكافئة[٤٢] .

أزمة التخاطب

أزمة الخطاب الثقافي العراقي التي عرضنا لها آنفا تتشكل في ضوء خط افقي لجهة انها تشمل الكيان الثقافي والجميع مشترك في حلقتها . أما أزمة التخاطب فهي تتحرك في ضوء خطوط عمودية بين الذوات المشكلة لبنية الثقافة – اي المثقفين-. يمكن التأشير بأننا نتحول هنا من بناء الخطاب الى البناء الاجتماعي عندما يتم الحديث عن المثقفين في أدوارهم , مراكزهم , طبقاتهم .

اولى مؤشرات أزمة التخاطب هو استعادة إشكالية الشيخ – الأفندي بصورتها الثقافية –الاجتماعية.

فالصورة image التي يرسمها كل من العنصرين لقرينه تستند الى الإقصاء والإبعاد والاستعلاء الى حد التسفيه والتحقير .

صورة المثقف عند المثقفين العلمانيين هو انه إنسان لا ديني . انهم يحتقرون العمامة وينبذون رفيقهم اذا ما علموا ممارسته لطقوس دينية[٤٣]. اذ يعدونه متخلفاً ومغايراً لروح الحداثة. وعند المفاضلة بين مثقف متسكع وعاطل عن العمل ويرتاد الملاهي الليلية وبين مثقف متدين, يقع الاختيار على الأول[٤٤].

بالمقابل ينظر المعمم والمتدين الى المثقف العلماني نظرة شكية تزدري موقفه تجاه القيم الروحية. ويرى كل ما يصدر عنه مجرد كلام فارغ لا يصمد امام الحقيقة المطلقة للدين . يقرن العلماني والعلمانية بمعاداة الدين , بينما يقرن الديني بالتخلف . تتفاقم المشكلة من التحقير الى التكفير كما في بعض " المتحولين " من العمامة الى الأفندي .

النموذج الماثل امامنا هو اعتبار الجواهري شاعر العرب الاكبر الذي تمرد على تقاليد العمامة " دنيوي وفاسد في عقيدته وسلوكه , ومناصر للملحدين في شعره . وكذلك فان ديوانه يحتوي على كثير من الغزل لمعشوقات اوربيات احبهن ونظم فيهن , كما ان فيه قصيدة صغيرة في ذم الحوزة العلمية , وينسب اليها الكبائر والفضائح "[٤٥].

وابدى الشيخ جلال الحنفي نشاطاً محموماً في تكفير الرصافي بسبب ما ورد في كتابه (رسائل التعليقات). لكن مير بصري يقول بان ما أُثير من ضجة حول الرصافي عام ١٩٤٤ هو تحريض من البلاط الملكي انتقاماً من الرصافي لهجوه الوصي عبد الاله ومساندته لحركة مايس ١٩٤١ ضد الانكليز[٤٦].

الشاعر جميل صدقي الزهاوي الذي عاش في كنف اسرة دينية قبل ان يتعلمن, هو الآخر عُدّ "مارقاً" عن الدين بعد مناداته بحرية المراة على منوال المصري قاسم أمين. فعندما نشر مقالة في جريدة المؤيد المصرية عام ١٩١٠ طالب فيها بحرية المرأة ان تطلق زوجها اذا ما كان شرساً معها, أسرع الشيخ سعيد النقشبندي يرد عليه برسالة نارية عنوانها:" السيف البارق في عنق المارق" وطافت في ازقة بغداد جماهير غفيرة تطالب بعزل الزهاوي من وظيفته في مدرسة الحقوق واتخاذ الإجراءات الشديدة ضده , فنزل الوالي ناظم باشا عند رغبة الجماهير وعزله من وظيفته. وتوارى الزهاوي عن الانظار خائفاً وجلاً وكتب الى الصحف يتبرأ مما كتبه وينسبه الى مكيدة دست من قبل اعدائه[٤٧].

حوار الثقافي مع الديني متشنج ومتوتر ينبثق من خوف الأول سلبه هويته في الوقت الذي يعرض فيه هذه الهوية للخطر من خلال فتاوي تجيز العنف ضد المثقفين. وترتسم معالم الهوية الدينية من الصورة المثالية التي تصطنع حالة من الطهرانية حول السلوك الديني في محاولة لا تخلو من العنف المتواصل نحو اعادة النموذج التاصيلي/ الاصولي الى الحاضر وخوض معترك الصراع مع العلمانية التي عادة ما ينظر اليها بوصفها صيغة كافرة ومستوردة من الغرب.

يعمل التأصيل للمقدس في اعتراض عدد من النواب فور تشكيل الحكومة الانتقالية بعد ٢٠٠٣ على تنصيب مفيد الجزائري وزيراً للثقافة بحجة انه ينتمي الى احد الاحزاب العلمانية (الحزب الشيوعي) وهو ما يخشونه من نشر ثقافة التشكيك والالحاد[٤٨] . كانوا قد اعترضوا على هذا الوزير للاعتبارات الايدلوجية ولم يسمع لهم صوت عندما تسنم هذا المنصب اسعد الهاشمي الذي عرف فيما بعد ضلوعه في مقتل ولدي النائب مثال الآلوسي, كما لم يتهجم عليه احد برغم انه هارب حالياً خارج البلاد ومطلوب قضائياً[٤٩], ولم يتنكروا على تنصيب سعدون الدليمي وزيراً للثقافة مع انه كان سابقاً وزيراً للدفاع ومن ثم تولى بالاضافة الى منصبه كوزير للثقافة, منصب وزير الدفاع وكالة في عهد المالكي.

كيف يمكن تشكيل خطاب ثقافي مع وجود قيادة تجمع بين إدارة ملف الاسلحة والدفاع عن البلاد, وملف الثقافة والمثقفين. فهل يعمل هذا الوزير بحكمة صدام حسين القائلة : للقلم والبندقية فوهة واحدة ؟

في مواجهة ذلك هناك مثقفين يسفهون رجال الدين ويرسمون صورة غائمة تفتقر الى الدقة والوضوح في معالجة ادوارهم . بل ان بعض الكتاب عمدوا الى القطيعة التامة مع المؤسسة الدينية واستخدام ألفاظ غير لائقة واتهام المرجعيات بالتآمر . فبالرغم من من أهمية وبراعة قلم فاضل الربيعي التي تتضح في عدد من مؤلفاته, إلا انه في كتاب " الخوذة والعمامة " لم يكن موفقاً تماماً. اذ بدا عليه وكأنه يلبس الزيتوني للدفاع عن البعثيين رغم انه كاتب يساري – مغترب في هولندا – عندما يتناول المعركة بين الصدريين والقوات الامريكية في النجف , فيقول: " سارعت المقاومة الوطنية وبشكل اخص البعثيون الذين هم في الغالب من الكفاءات العسكرية النادرة الى التدخل بسرعة فائقة لنجدة الصدريين .."[٥٠]. ومن ثم ظهر كمن ينتمي الى التيار الاصولي في تملقه للمليشيات المسلحة بينما صب جام غضبه على السيستاني متهماً إياه بالتواطؤ: " ان الايرانيين بالتواطؤ مع الامريكيين وآية الله السيستاني – كما كان الحال مع القاجاريين وآية الله كاظم اليزدي في

معركة النجف ١٩١٤ – كانوا يشكلون جبهة واحدة "[٥١]. ويصف دور السيستاني في أكثر من موضع بالمخزي والمتخاذل. وعنده ان الراحل عبد المجيد الخوئي تم قتله " احتجاجا على استرداده المخزي لدور نصير الطوسي, وعلى تقمصه للدور نفسه في المسرح نفسه "[٥٢].

تعمل عقدة الماضي على تصلب الموقف الثقافي وسد المنافذ للحوار مع الديني من خلال الاتهام والتجديف بالكلام لا من خلال النقد . كان الربيعي في كتابه يضع الاتهامات تلو الأخرى وكأنه محقق جنائي وليس مفكراً ناقداً .

المثقف والطائفية

وضمن فضاء المثقفين أنفسهم , تتسع الفجوة لتأخذ إطاراً مذهبياً هذه المرة لعدم قدرة المثقف ترك ولاءاته القديمة ويرى نفسه ناشطاً في ظل المفاهيم السائدة لجماعته. اذ تذرّ الطائفية بقرنيها في نموذج الرصافي ويتخذها مرجعية لنمطه الفكري في الكتابة, فيهاجم الشيعة في عدد من كتاباته ويصفهم باوصاف مقذعة لا تنسجم وكونه مثقفاً وشاعراً معروفاً. يقول الرصافي عن التشيع بانه "الداء العضال الناشب في قلب العراق. وهو الداء الذي كان من قبل ناشباً بجسم العروبة في عصرها الذهبي الوهاج ! "[٥٣]. ولا يكف عن ترديد المقولة السائدة منذ عهد الاسلام المبكر وحتى اليوم بولاء الشيعة لايران وانسلالهم من اليهودي ابن سبأ. فهو يعتبر ايران " القبلة التي تتجه اليها قلوب شيعة العراق...وان مذهب التشيع في الاسلام يمت في اصله الى ابناء فارس نسبة لا مرية فيها ". ولا يرتوي من غلّه حتى ينزع ثوب العروبة من الشيعة برغم انهم الكتلة السكانية الاكبر في العراق: " فلو سألني سائل ما أعجب ما رأيت في هذه الحياة الدنيا لأجبته فورا من دون تردد او تلعثم ان أعجب ما رايته في الدنيا شيعي يدعي انه عربي ..! "[٥٤].

ويضع الرصافي قدمه في ارض وعرة عندما يتواطأ مع ساطع الحصري لتشويه صورة الشاعر الجواهري. فقد اعترض الحصري الذي كان مشرفاً على التربية والتعليم في العراق على تعيين الجواهري مدرساً للغة العربية بعد موافقة وزير التربية آنذاك. لكن اعتراضه تم نقضه وحصل الجواهري على الوظيفة. بعد أيام نشر الجواهري قصيدة في احدى الصحف البغدادية تتغنى بالجمال الايراني. وهو ما أغضب الحصري الذي طلب من الرصافي نقد القصيدة التي هي وفقاً للحصري شعوبية ومناهضة للعرب[٥٥].

لم يستطع الرصافي كمثقف له حجمه ان ينتزع من دماغه المرجعية الفكرية في إلغاء الآخر او التخلي عن عقدة الماضي حتى بعد كتابته لنص الشخصية المحمدية الحافل بالاثارات

والضغينة والحقد الطائفي . كما لم يستطع الحصري بوصفه الرائد الفكري المنظّر للقومية العربية ان يتخلى عن تلك العقدة واستغل منصبه كمشرف عام على التعليم في العراق ليمارس دوره في اقصاء الشيعة من ثمرات التعليم . وصل به الأمر - كما يذكر حسن العلوي – ان يقنع الملك فيصل بإلغاء فكرة إنشاء دار للمعلمين في الحلة لان المستفيدين منها سيكونون من ابناء الجعفرية [٥٦].

مقابل ذلك نرى الجواهري يلعب على نفس الوتر الطائفي عندما يرسل بأبيات مديح الى وزير المعارف عبد المهدي المنتفكي الذي فصل أنيس زكي النصولي من وظيفته بعدما اثار كتابه: (الدولة الاموية في الشام) ضجة تعادل ما اثارها كتاب مصطفى عبد الرازق (الاسلام واصول الحكم). يقول الجواهري :

عار على صفحة التاريخ قيلته
ولطخة في جبين المجد ما كتبا[٥٧]

تسهم العصبية للطائفة والعشيرة والدين والقومية في صناعة أزمة الخطاب من خلال أزمة التخاطب كما في النماذج اعلاه . وتعود اليوم لتكرس نفسها من خلال النقد الادبي واضعة الحواجز امام الحوار الموضوعي الهادف. فالنص في قفص الاتهام عندما يواجه الإطار المرجعي – الطائفي – السلفي للتفكير, ولا يقتصر رفع التهم من قبل الشيوخ ورجال الدين وحسب , بل يتعداه الى فئة من المثقفين انفسهم الذين يفكرون بما تفكر به جماعاتهم التي نشأوا فيها .

فعندما عرضت مسرحية (روميو وجوليت في بغداد) اتهمها بعض المختصين بالشأن المسرحي بتكريس الطائفية والانقياد وراء الخطاب الديني والاحزاب الحاكمة في بغداد وتشويه أشهر أعمال الكاتب الانكليزي شكسبير. كما انتقدت جريدة الزمان مشاركة الفنان سامي عبد الحميد ووصفت مشاركته بمثلث السقوط بعد تقديمه نصاً ضعيفاً كتبه صدام حسين باسم زبيبة والملك ببهرجة مسرحية تمجد الدكتاتور المؤلف , ثم عاد وجسّد جانباً من سيرة رجل دين أعدمه الدكتاتور نفسه ومختلف على سيرته وطبيعة موته في عرض مسرحي مع عواطف السلمان قُدم لرجال الدين على المسرح الوطني بدعم مالي من احد الاحزاب الطائفية الحاكمة [٥٨].

الغريب في النقد انه لم يكن موضوعياً وينحاز للشأن الفني , إنما اتجه مباشرة الى استرجاع أُطر راكزة في العقل الشعبي العراقي. وهي الأطر ذاتها التي كرست التعصب والطائفية بين مكونات المجتمع والتي غفلنا انها تغذي حتى المثقفين – بضمنهم الليبراليين والعلمانيين وغيرهم من دعاة التحرر- الذين تأمل البلاد ان يكونوا عنصراً

متحرراً من النماذج القديمة في التعصب والانحياز.

فصام المثقفين : مثقفي الداخل والخارج

ضمن الاطار المرجعي عينه والذي يتحكم في عقل المثقف لا بصفته مثقفاً وحسب بل وعضواً/ فاعلاً اجتماعياً social actor يعيش في ظل ثقافة لا يملك نزعها والفرار منها حتى لو هاجر او نفي خارج موطنه. فنوع الخطاب ولغة الحوار تستند الى المعرفة الاجتماعية التي يكتسبها الفرد في تفاعله اليومي مع الآخرين. البيئة الثقافية لست مثالية لان المثقفين كغيرهم من الناس يعيشون صراعات داخلية تصل عند البعض الى حد الإلغاء. يتضح ذلك بصورة جلية في الانشطار الذي صنعه المثقفون أنفسهم بين مثقفي الداخل والخارج والذي تؤشر حالته منذ نهاية التسعينات غير ان معالمه الحقيقية تعود الى سبعينات القرن الماضي في لحظة افتراق ومفارقة جيل عن آخر تعود اسبابها الى توجهات سياسية شوفينية تعمدها النظام السابق ضد الشيوعيين والاسلاميين , وبالجملة كل من عارض النظام ولم يكن ضمن حلقة مثقفي السلطة .

بالاضافة الى المطاردة الفكرية, برزت منذ بداية التسعينات حالة العوز والفقر التي اضطرت عدد آخر من المثقفين الى الهجرة. وربما كانت الرغبة في الشهرة ونشر المؤلفات في أجواء الحرية دافعا للبعض الآخر. كل هذه الأسباب وسواها أنتجت بالنهاية مجاميع او أجيال من المثقفين يفكرون ويكتبون بصيغ ربما تختلف كلياً عن زملائهم في داخل العراق, أدت الى صراع في إنتاج الصور الذهنية لكل من الفريقين ومن ثم الى تقاطع وصل الى حد القطيعة في الخطاب الثقافي ولغة الحوار.

يؤشر محمد الاخرس ملامح هذا الفصام منذ السبعينات " الزلزال السبعيني " ويضع الصور الذهنية التي جعلت التخاطب الثقافي في موضع شدّ وتوتر بصورة عمودية , فمنذ ذلك الحين: " انقسمت الثقافة العراقية الى ثقافتين, واحدة في المنفى, واخرى داخل العراق, الأولى يسارية متفتحة وذات افق واسع , بينما الأخرى قومية متحجرة وذات اتجاه واحد ووحيد .. ففي الداخل ثمة القسوة الكريهة اللاانسانية بحق المثقفين المنفيين, اما في المنفى الواسع حيث وصل المثقف, فان ما سيراه لن يكون اكثر من تغليب نظرة مسبقة ازاء كل الخارجين تواً من الوطن , نظرة مؤداها ان من لم يخرج مبكراً فهو اكثر تلوثاً بسخام الكارثة"[٥٩].

وحتى بعد ان تجرأ بعض مثقفي الداخل باقتحام الحدود والهجرة الى المنافي, لم يكن استقباله على انه " تائب " او متبرئ من النظام, بل ترسخ الوصم

والصورة النمطية بانهم ابناء البعث وكأنهم ابناء سفاح لا يملكون الهرب من نسبهم. " فهذا شاكر لعيبي يهاجم المهاجرين الجدد واصفاً إياهم بالمتحذلقين والطائشين وايضاً المخادعين والحيالين, مبررا ذلك بانهم كانوا نتاج سلطة البعث حتى وان لم يندرجوا في ماكنتها الفاسقة ". لكن احمد عبد الحسين سيطلق رصاصاً لا يختلف كثيراً عن رصاص لعيبي ليتساءل: ان كان المثقف المجهول بفضل حذلقته وطيشه صنيعة السلطة, أم ان ثقافتنا ذاتها تختزن امراضها المزمنة الخاصة بها التي انتجت طوال تاريخها صفحات زائفة لأسماء اشد زيفاً " [٦٠].

هذا التخاطب المتشنج بين ذوات الثقافة هل هو نتاج لأزمة حقيقية في الخطاب أم نتاج لثقافة متأصلة في شخصية الانسان العراقي ؟

في حدود هذه الدراسة نرجح ما تحمله الشخصية العراقية من آليات التمييز عن الآخر اولاً ومن ثم المنافسة معه على الموقع الاجتماعي [الأوَّلة كما يسميها اسحق الخوري] ثانياً, وإلغائه او المثابرة لإلغائه ثالثاً. بالمجمل, ان اختزان الشخصية لثقافة العنف يفوق مخزون التسامح والعفو والصفح عن الآخر. يمكن إدراك ذلك من قلة امتلاكنا لثقافة الاعتذار, واذا ما اعتذرنا احتاج ذلك الى زمن طويل وتوسط بعض المصلحين, ويبقى الفرد بعد ذلك يحمل في داخله بعض الضغينة على صاحبه .

لغة التخاطب اليومي وهي اهم ادوات التفاعل الرمزي , تختلط فيها تعبيرات والفاظ عنفية حتى في اوقات التسلية والفكاهة : الزجر , التعيير , الصياح , التكبر , الاستغلال , الافتخار .. والأمر يتسع من الفرد الى الجماعات في صراعها المستمر على السلطة والهوية. عندها تبرز مفاهيم أصبحت شاخصة ومعلنة كالطائفة والاثنية والحزب .

لا يعني ذلك باننا نعيش في حالة من الفوضى بسبب ثقافة العنف, لان نطاق ذلك ينحصر غالباً في علاقة الفرد بالجماعة [الاسرة , الاصدقاء , العمل ..] , أما علاقته مع الغرباء خارج جماعته فتتسم بالحيادية واحياناً بالشك والخوف وتوقع الاسوأ فيفضل البقاء على علاقة وقتية سلمية .

وبالرغم من الاثارات الطائفية والعرقية بين الجماعات [سنة , شيعة , عرب , اكراد , ..] لكن الرغبة الدائمة للتعايش او الحصول على المنافع الاقتصادية كالتجارة والاسرية كالزواج يتم وفقها التخفيف من شراسة الهجوم على الآخرين . وبالنتيجة فان محمولات العنف - سواء كان ماديا ام رمزيا – في الثقافة الاجتماعية هي من اهم المشاكل التي يعاني منها الفرد في تخاطبه اليومي.

والمثقف الذي ينمو في اطار هذه الثقافة سيحمل ما اكتسبه الى قلمه وتتحول الأزمة من التخاطب اليومي الى الثقافي وهو ما سيؤثر بالتالي على ضعف وهشاشة الخطاب الثقافي. يمكن التعميم على نماذج مماثلة كالعلاقة الغائبة بين المثقف الاكاديمي / المختص والمثقف غير المختص. الأول ينظر باستعلاء وشموخ الى الثاني لانه حائز على شهادة عليا تمكنه من النظر بصورة اعمق من المثقف غير المختص . وهذا الأخير يرسم صورة نرجسية لذاته لانه يقرأ كثيرا من العلوم والافكار ويجنب نفسه الوقوف على جهة بعينها . حتى ان الندوات والمؤتمرات التي تعقد من الجهتين يقتصر فيها الحضور غالبا على الاعضاء المنتمين للجماعة الثقافية .

ويعمل التفكير من خلال اللغة على تكريس جهل متواصل بالنتاج الكردي والتركماني والمسيحي. والثقافة التي تعمل على قمع وإضعاف دور المرأة, تعمل هي الأخرى على تهميشها ضمن فئة المثقفين. فعدا اسماء قليلة كنازك الملائكة ولطفية الدليمي...لا نكاد نسمع بغيرهن من المثقفات ليبقى المشهد الثقافي ذكورياً دون مناصفة او مزاحمة الجنس الآخر, والتذكير دائما بالدور الرجولي للثقافة .

الملخص

يتناول البحث بالدراسة ازمتين تمر بهما الثقافة العراقية, تلك المتعلقة بالخطاب الثقافي كمنظومة من القيم تواجه معتركا صعبا امام سيل من التقاليد الاجتماعية التي تمانع من تشكيل خطاب ذي سمة عراقية مميزة, والاخرى مرتبطة بالمثقفين الذين ينقسمون فيما بينهم الى مثقفي الداخل والخارج ما اثر بالتالي على نوعية التحاور / التخاطب فيما بينهم لتوحيد الرؤى حول مستقبل الثقافة. وهذا الامر نوقش في ضوء ثقافة الخوف التي تستبد بالمثقف من خلال نسق القيم الثقافية والدينية التي تقف كتابوهات تحرم عليه الظهور.

This paper deals with the study of tow crises which Iraqi culture pass them, those deals with the cultural discourse as a system of values facing difficult contention in front of an influx of social traditions, which is reluctant to form a discourse with a distinctive Iraqi feature, and the other linked to intellectuals who are divided among themselves into inside and outside intellectuals . hence this matter affect on

the quality of dialogue / discussion with each other to unify the visions about the future of culture. This issue was discussed in the light of the culture of fear that captive by intellectual through system of cultural and religious values which stand as taboos forbidden him from emerge.

الهوامش

[١] عمار بلحسن : انتلجينسيا ام مثقفون في الجزائر , دار الحداثة , ١٩٨٦ , ص ٣٩

[٢] ن.م : ٣٨ - ٣٩

[٣] عبد السلام حيمر : في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين , من سوسيولوجيا التمثلات الى سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي , الشبكة العربية للابحاث والنشر , بيروت ,٢٠٠٩, ص ١٠٨

[٤] طوني بينيت واخرون : مفاتيح اصطلاحية جديدة ,.ترجمة سعيد الغانمي , المنظمة العربية للترجمة , ٢٠١٠ ,ص٣٢٤

[٥] انظر الحوار مع عبد القادر جغلول والردود والتعليقات عليه في , عمار بلحسن :م . س : ٥٣ - ٧٠

[٦] محمد عابد الجابري : اشكاليات الفكر العربي المعاصر , ط٦ , مركز دراسات الوحدة العربية , ٢٠١٠ ,٥٨

[٧] محمد غازي الاخرس : خريف المثقف في العراق , دار التنوير , ١٢٩

[٨] الجابري : م . س : ٥٥ - ٥٦

[٩] ميثم الجنابي : هادي العلوي , المثقف المتمرد , مجموعة لا الثقافية , ٢٠٠٥ , ص ٤٤

[١٠] ن. م : ٤٤ برغم فكرة المثقف المتمرد والمعارض التي تعد انتسابا لمعتقدات العلوي في الفكر الشيوعي والصوفي , فانه كان مثاليا الى حد مفرط . اذ نادى بالمعارضة المطلقة مع الدولة (الفاسدة) لانها شر مطلق . دعاه ذلك ان يتمثل نموذجه الفكري بشكل مطلق بعيد عن الواقع . فقد رفض مثلا استلام جواز سفر من السفارة العراقية في بكين لانه يعتقد بان المثقف لا يجوز له اخذ شي من الدولة الا على جهة الغصب بالسطو عليها او مقابل رشوة يرشو بها احد الموظفين ! (ن . م : ٥٢) .

[١١] حازم صاغية: بعث العراق, سلطة صدام قياما وحطاما,دار الساقي, ط٢, ٢٠٠٤, ص ٩٠ . وقصة قمع نظام البعث لمثقفي الحركات الاسلامية العراقية اشهر من ان توصف ويضيق المجال بذكرها خصوصا فيما يتعلق بزعيمهم آية الله محمد باقر الصدر. اما الامثلة العربية بهذا الشان فعديدة كمقتل فرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ ونفي نصر حامد ابو زيد وغيرها.

[١٢] الاوراق الصريحة لـ (اوجاع) صلاح دونها في رائعته , بوهيميا الخراب , دار التوير , ٢٠٠٩

[١٣] عبد السلام حيمر : م . س : ٢٢٨

[١٤] ربما يكون عباس جيجان ابرز الشعراء في التحول والنفاق ما يجعله مثالا للبؤس الثقافي الذي نعيشه الان. فقد كان شاعر الحرب و رثى صدام في احدى قصائده ووصفه بالأسد , ثم تحول ليذمه ويمدح نوري المالكي ويطلب منه السماح !

[١٥] محمد الاخرس : م . س : ١٠٠ - ١٠١

[١٦] ريمون آرون : افيون المثقفين, ترجمة عادل زيتوني, المكتبة الاهلية, ١٩٦٢ , ص٢٢٠

[١٧] حسين الموزاني : اعوام الجمر والرماد, منشورات الجمل,٢٠١٥, الصفحات ١٣ , ٢٧. وللوقوف اكثر على تناقضات المثقفين قبل وبعد سقوط نظام صدام, ينظر التحليل النفس اجتماعي الرائع للكاتب سلام عبود في أسفاره الاربعة: ثقافة العنف في العراق, من يصنع الدكتاتور, المجتمع والثقافة تحت اقدام الاحتلال, المثقف الشيوعي تحت اقدام الاحتلال.

[١٨] فاضل العزاوي : الروح الحية , جيل الستينات في العراق , مجلة عيون , عدد ١ , ١٩٩٥ , ١١١

[١٩] : Kottak .C.P Anthropology , the exploration of human diversty ,Mc graw hill ,11th , p 278

[٢٠] لاحظت لدى تدريسي في الجامعة مدى توجس الطالب من الاجابة على سؤال الاستاذ او خوفه من ان يسال استاذه او ينقده . وبرغم اني احث الطلبة ان يجيبوا حتى لو اجابة خاطئة , الا انهم يخشون ذلك لتوقعهم التعيير من زملائهم لهم او لفقدان الثقة بالنفس وغيرها من الاعتبارات . وكل ذلك ينطلق برايي من الخوف الثقافي .

[٢١] اثناء كتابة هذا البحث بثت القنوات الفضائية خبراً عن حكم المحكمة الجنائية في كردستان بالسجن لمدة عامين على الصحفي كارزان كريم بتهمة الاضرار بالامن الوطني. وكان كارزان كريم قد ادان في مقالاته التي كتبها باسم مستعار الفساد المستشري في بعض مفاصل حكومة الاقليم .

[٢٢] الخطاب الديني كان كذلك في عهد النظام السابق لكن من خلال البث الاذاعي عندما كان الناس يستمعون خلسة الى المحاضرات الدينية

[٢٣] مالوري ناي : الدين الاسس, ترجمة هند عبد الستار , الشبكة العربية للابحاثوالنشر,٢٠٠٩, ص١٠٤- ١٠٧. بالاضافة الى التوسير هناك اخرون تناولوا مفهوم الهيمنة والايدلوجيا كسلطة رمزية مثل فيبر وغرامشي وبورديو. للمزيد يراجع المصدر الانف الذكر وكتاب بول ريكور ,محاضرات في الايدلوجيا واليوتوبيا.

[٢٤] اوليفيه روا : الجهل المقدس , ترجمة صالح الاشمر , دار الساقي , ٢٠١٢ , ص ٢٩ . تجدر الاشارة الى ان " روا " يستعمل مفهوم الثقافة بالمعنى الانثربولوجي التي يعد النتاج الادبي والفني جزءا منها . ويذكر المؤلف ان مفهوم الثقافة الاسلامية له معنيين , الاول لدى المسلمين انفسهم حيث المقصود بها معايير تخص العائلة واختلاط الجنسين والغذاء ... والاخر استشراقي غربي يشتمل على الفن

والهندسة المعمارية والحياة الحضرية .. (ن. م : ٥٧).

[٢٥] نفس المصدر والصفحة

[٢٦] اود التنبيه باننا لا نتبنى وجهة نظر بعينها او ايدلوجيا ننحاز لها دون اخرى , وانما هي امثلة نسوقها لمعالجة مشكلة البحث لا اكثر , وسيتضح لاحقا بشكل جلي عندما ندرس ازمة التخاطب .

[٢٧] علي بدر : الوليمة العارية , دار الجمل , ٢٠٠٥ , ص ١٢ - ١٥

[٢٨] ن . م : ١٦

[٢٩] هشام شرابي : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ,مركز دراسات الوحدة العربية , ط ٦ , ٢٠١٠ , ٩٦

[٣٠] انظر اصل الرواية طبعة دار المعارف , ص ٤٠ – ٤٥ . وللمزيد ينظر الدراسة الشيقة (شخصية المثقف في الرواية العربية) لعبد السلام الشاذلي التي بحثت عدد كبير من الروايات .

[٣١] فالح عبد الجبار : بنية الوعي الديني والتطور الراسمالي ,دراسات اولية , مركزالابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ,١٩٩٠ ,ص ١٥٨ . من جهة اخرى وبالرغم من دفاعه عن الماركسية , لا نجد عبد الجبار يتبنى الفكر الماركسي او مدرسة نقدية بعينها في تحليلاته [انظر مثلا :العمامة والافندي , المجتمع المدني في العراق ..] . فنقده للصدر نابع من رغبته في الانتصار للفكر العلماني الذي يمثل ماركس احدى مصادره الرائدة , مقابل الصدر الذي يمثل الاصولية الاسلامية .

[٣٢] القضية مثارة اعلاميا , و للاستزادة يمكن مراجعة موقع ankawa.com . ما يثير الاستغراب ان المدعي العام راعي الحريات هو من قام برفع الدعوى ضد فرهاد .كما قام قبل ذلك بسنتين برفع دعوى ضد فرهاد واتهامه بنشر صور خليعة ضمن كتابه عن السلطنة العثمانية , وهي لوحات اقتبسها من دول مجاورة . يذكر ان فرهاد يحظى بشعبية واسعة بين الشباب الكردي وتثير مقالاته وكتاباته ردود فعل ومشاكل كثيرة له , حيث اعتمد على تخطي التابوهات التي تضعها السلطة والمجتمع مما حرض عليه الكثير من خطباء المساجد والاحزاب الاسلامية في كردستان ,و تعرض الى الكثير من القضايا في المحاكم وسجالات على الصحف والمطبوعات المحلية (ن . م).

[٣٣] انظر طبعة الكتاب العربية بتحقيق جمال جمعة ,دار رياض الريس ١٩٩٢

[٣٤] خيري العمري : حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث ,دار الهلال , ١٩٦٩ , ١٤٦ - ١٧٣

[٣٥] انظر مقدمة المحقق لكتاب النائيني : تنبيه الامة وتنزيه الملة , مؤسسة احسن الحديث , ١٤ - ١٨

[٣٦] توفيق السيف : ضد الاستبداد , الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة , المركز الثقافي العربي , ١٩٩٩ , ٢٣٥

[٣٧] في الوقت الذي راجت فيه القضية اعلاميا استدعى عادل عبد المهدي نائب الرئيس العراقي, الشاعر عبد

الحسين وطمأنه بعد المساس به. للمزيد من ردود الفعل والتعليقات على القضية يراجع موقع: iraqiforum.net.
ونود الاشارة الى اننا بصدد عرض القضية بكل حيادية في ضوء معاناة الكلمة وحرية التعبير, اما ان يكون الكاتب مخطئا ام لا فهذا شأن آخر. وتناهى اليّ ان الكاتب عبد الحسين اقيل نهائيا من جريدة الصباح ويعمل حاليا في جريدة المدى . وباسلوب مشابه تعرض الصحفيون منتظر ناصر ونبيل جاسم واحمد عبد السادة للتهديد والمضايقة والمحاكمة بسبب كشفهم لملفات فساد. وتاريخ الصحافة العراقية مليئ بمواقف السلطة المناوئة للكلمة الحرة. ينظر كتاب احمد فوزي: اشهر المحاكمات الصحفية في العراق,مطبعة الانتصار ١٩٨٥, وكتاب مليح صالح شكر: تاريخ الصحافة العراقية الدار العربية للموسوعات, ٢٠١٠

[٣٨] آخر الغرائب هو المؤتمر الذي اقيم في ٢٧ – ٩- ٢٠١٢ تحت شعار الثقافة العراقية والمصالحة الوطنية الذي تم تحت اشراف رئيس الوزراء. كان المؤتمر يهيب بالمثقفين دعم المصالحة الوطنية. في الوقت الذي تهمل الحكومة المثقفين , وتبذل الملايين في مشاريع فاشلة بينما لاتذكر مهرجانات الثقافة الا بفتات الموائد .ترى كيف يسهم المثقفين في المصالحة الوطنية بينما لم تستطع الرؤوس الكبار فعل ذلك , وهل ثمة من مستمع للمثقفين اذا ما ابدوا ارائهم ..؟ انظر تهكما حول هذا المؤتمر في جريدة المدى بتاريخ ١٩ – ١٠ -٢٠١٢

[٣٩] عبد السلام المسدي : السياسة وسلطة اللغة , الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٧ , ص١٦٧

[٤٠] حسين الموزاني : مصدر سابق, ص٦

[٤١] بعد اغلاق الاتحاد لعدة اشهر التقي رئيس الوزراء نوري المالكي بعدد من المثقفين وامر باعادة فتحه , وللمزيد عن اقتحام الاتحاد والاعتداء على المثقفين ينظر الرابط :. http://www.ishtartv.com/viewarticle,44096.html من وجهة نظر شخصية ارى وجود نادي ترفيهي لتعاطي الخمور امراً معيباً بحق مؤسسة ثقافية , ولكن بالمقابل طريقة التعامل بالقوة امر مستهجن . وعلى نفس الوتيرة وبسبب تشنج الخطاب الديني تحركت عشرات من المصلين في كانون الاول ٢٠١١ بعد اداء صلاة الجمعة في مناطق زاخو وسميل بدهوك نحو محلات بيع الخمور والملاهي الليلية والمساج ومهاجمتها واحراق ممتلكاتها . كانوا قد استمعوا للخطيب الذي تلى آيات من القرآن حول حرمة شرب الخمور وبيعها وانتشار مظاهرها في تلك الاماكن. مع انه اعلن في اليوم التالي عدم مسؤوليته عن تحريض المصلين. حقا " ان السخط المقدس هو من الجهل المقدس " كما يقول اوليفير روا . انظر للاستزادة عن الحادثة وتداعياتها السياسية الرابط التالي

http://www.alaalem.com/index.php?aa=news&id22=39869

[٤٢] من المعيب على الجامعات العراقية وخصوصا جامعة بغداد ان تعين اساتذة لا يملكون من العلم شيئا لمجرد توسطهم عن طريق احزاب دينية متنفذة , بينما تترك الكفاءات التي تنهض بالعملية التعليمية. الطامة الكبرى التي حصلت منذ سنوات هو اقالة احد اهرام علم الاجتماع في العراق والغصن الاخير من شجرة الرواد وهو الدكتور متعب مناف لاسباب ادارية (كان قد تاخر في سوريا للعلاج) اختلقها عميد كلية الاداب. وهو الان بدون مرتب تقاعدي بعد خدمة في التعليم زهاء الاربعين عاما. وكم هو مخجل موقف عمادة الاداب ورئاسة الجامعة من الحادث الذي تم فيه التعرض بالاعتداء والضرب المبرح للدكتور احسان محمد الحسن الاستاذ في قسم الاجتماع من قبل طالب ينتمي لاتحاد الطلبة حتى اضطر الدكتور احسان الى ترك العمل ولا ندري أين هو الآن, بينما عين الطالب الذي اعتدى عليه بعد اكماله الماجستير والدكتوراه (بتفوق) !.

[٤٣] ابتليت ذات يوم وذكرت على احدى القنوات الفضائية بان محمد باقر الصدر كان مفكرا ومصلحا . لم يرضَ عني عدد من اصدقائي (المثقفين) واعترضوا على كونه مفكرا . كما ان القناة لم تلتقي بي بعدها , وكأن باقر الصدر ليس له شان علمي وثقافي طيلة الفترة الماضية لكونه حوزوي . وعلى العموم انا لم اغير نظرتي تجاه هذا الرجل العظيم الذي كان له دور كبير ونشاط فاعل في النقد الفكري للايدلوجيات المعاصرة بالرغم مما يقوله البعض من لاعقلانية افكاره (كما يقول فالح عبد الجبار). ثم كيف يتسنى للبعض اعتبار محمد عبدة وجمال الدين الافغاني والطهطاوي ورشيد رضا وغيرهم من المعممين العرب , روادا للتنوير والنهضة الفكرية ويسلبون حق بعض رجال الدين العراقيين . هل ينطبق الامر نفسه مثلا على علي الشرقي والنائيني (الايراني الاصل والنجفي الدراسة) , ومتى نتخلص من ان المظهر لايعبر عن جوهر الحقيقة ؟ ومتى يكف بعض المثقفين عن (الانتفاخ) ويتصرفوا بتواضع تجاه غيرهم ؟

[٤٤] عدد من المثقفين يصبح لديه الخمر واللهو الجنسي والتسكع ثقافة فرعية تجمعهم مع اقرانهم . تصل عناصر هذه الثقافة الى مستوى المظهر فيكون ذو لحية كثة او شعر طويل واسلوب حواري منمق يشبه في مظهره الهيبيز كي يتميز بانه (مثقف) . ولا ندري ما هو السر الذي يربط بين الثقافة التي تتمتع بالسمو والرفعة وبين احتساء الخمر. هل يعني ذلك ان المثقف يوصل رسالة الى المتدينين بحريته من قيودهم او قيود السلطة السياسية والاجتماعية, ام ان الثقافة النصية هي التي تبيح الحرية. وباشارة سريعة , لماذا يحوي اتحاد الادباء والكتاب (ناديا ثقافيا) تعاقر فيه الخمرة مع ان من الممكن ممارسة هذا السلوك في اي مكان اخر؟. كنت ذات يوم في لقاء

تلفزيوني مسائي , وبعد انتهائي كان المقدم ينتظر احد (المثقفين) لاجراء لقاء معه, وعندما حضر كانت رائحة الخمر تسبقه, وقال بانه كان يجري مطارحات فكرية في اتحاد الادباء !. للمزيد عن مذكرات الادباء وقصفهم ومعاقرتهم للخمر انظر كتاب هاشم شفيق: بغداد السبعينات, دار المدى, ٢٠١٤ .اذ يؤكد انه لم ير شاعرا او رساما او ممثلا او موسيقيا او كاتب اغنية او صحافيا او قاصا وروائيا او كاتبا ومترجما من جيله لم يشرب الا في حالات نادرة ! ص ٤٩

[٤٥] محمد صادق الصدر : شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين , كتاب من الانترنيت, ص ١٤٨.

[٤٦] انظر المقدمة التي كتبها رشيد خيون لكتاب الرصافي (الرسالة العراقية) ص ٣٠ .

[٤٧] خيري العمري : م . س : ٩٩ - ١٠٠

[٤٨] الشيوعيون المعاصرون لا يكفون عن نفاقهم وازدواجيتهم المفضوحة ,فمفيد الجزائري رغم شيوعيته لم ينسلخ من انتمائه الشيعي , لذا يقول في مقابلة مع مجلة الشبكة العراقية بان الحسين هو الذي اثر في توجهه للحزب الشيوعي لانه راى تضحيات الحسين وقارنها بتضحيات الشيوعيين , انظر الرابط التالي http://magazine.imn.iq/articles/view.13956/ . اذا كان الامر كذلك كان من الاولى ان ينتمي لحزب الدعوة وهو لا يقل تضحيات عن الحزب الشيوعي . واذا كان الشيوعيون متشيعون لماذا رفعوا في مظاهراتهم صور جيفارا ولم يرفعوا صور الحسين ؟

[٤٩] بمناسبة ذكر هذه القضية يتساءل احد الكتاب : لماذا قتل كامل شياع المثقف الهادئ والوديع بنفس اليوم الذي صدر فيه حكم الاعدام بحق الوزيراسعد الهاشمي بتاريخ ٢٣ – ٨ – ٢٠٠٨ . وبعد يومين من صدور فتوى من احد رجال الدين بقتل العلمانيين . من السخرية بمكان ان يعمل مثقف مثل شياع تحت امرة ارهابي كاسعد الهاشمي . والشي الغريب ان شياع كان قد تنبا بمقتله في مقال له بعناون " عودة المنفى " . انظر مقالة عبد الخالق حسن على موقع igfd.net

[٥٠] فاضل الربيعي : الخوذة والعمامة , الاحتلال الامريكي وموقف المرجعية الدينية في العراق , دار الفرقد , ٢٠٠٩ , ص ١٧٠ . والربيعي هو الذي اثار ضجة كبيرة في لقائه على قناة الجزيرة – برنامج الاتجاه المعاكس – عام ٢٠٠٥ عندما وصف السيستاني بالصفوي والعميل . بعدها خرجت تظاهرات لشيعة العراق منددة بقناة الجزيرة , وعلى اثرها استنكرت المراسلة العراقية اطوار بهجت التي تعمل في الجزيرة ما بثته قناتها واستقالت منها وعملت في قناة العربية قبل ان يتم اغتيالها على يد القاعدة عند تغطيتها لتفجير مرقدي العسكريين في سامراء .

[٥١] ن . م : ١٧٣

[٥٢] ن . م : ١٨ , وينظر له كتاب آخر بعنوان : العسل والدم يتناول فيه مثل هذه القضايا . ما يؤسف له ان الربيعي

لم يطلع كفاية على المنشورات الحديثة التي تبرء ساحة نصير الدين الطوسي من تهمة الغدر التي لفقت بشخصيته طيلة التاريخ , انظر مثلا كتاب علي الحسيني الميلاني: الشيخ نصير الطوسي وسقوط بغداد, ومقالة حسن الامين على الرابط :.

http://www.imamreza.net/arb/imamreza.php?id=2414

[٥٣] معروف الرصافي : الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع , منشورات الجمل ,٢٠٠٧ , ص ٩٩ . وانظر كتابه الاخر حول الشخصية المحمدية الذي لايتكلم فيه عن النبي بقدر ما هو كتاب هجومي على التشيع .

[٥٤] ن . م : ١٢٠ – ١٢٣ لكن رشيد الخيون يدافع عن الرصافي وينفي عنه طائفيته وياتي ببراهين منها : صلاته الجيدة مع اعيان الشيعة وبغضه للعهد الملكي السني بالعراق , وخلافه مع ساطع الحصري في اكثر من موقف , ومدح الجواهري له بعد انجازه كتاب الشخصية المحمدية . وما صدر عنه من جارحات على الشيعة " لايزيد على تعلق باذيال المجد العثماني " !(انظر تقديم رشيد الخيون للرسالة العراقية ص ٢٠ - ٢٥) .ولكن كيف يبغض الملكية العراقية ولايبغض السلطانية العثمانية المتعلق بها مع انها اسوأ من العهد الملكي , وكيف يمدحه الجواهري وكتاب الشخصية المحمدية لم يطبع الا في عام ٢٠٠٦ , وعلى افتراض ان الجواهري قد قرأ المخطوطة فهل يغض الطرف عما فيه من اساءة لابناء طائفته وهو الذي لم يغير جلده بالرغم من نزعه العمامة . وكيف نبرء ساحة الرصافي من تهمة الطائفية امام سيل من التشنيع والقذف بحق الشيعة بشكل لايحتاج الى تأويل كما عرضنا لعينة من نصوصه .

[٥٥] اسحق نقاش : الوصول الى السلطة , الشيعة في العالم العربي المعاصر , مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية , كتاب على الانترنيت , ص ٢١

[٥٦] حسن العلوي : الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ – ١٩٩٠ , دار الثقافة , ايران –قم [د.ت] ,ص ٣٠٢

[٥٧] خيري العمري : م . س : ١٥٩

[٥٨] جريدة الزمان بتاريخ ٢٥ – ٤ – ٢٠١٢ في حين اشاد بالمسرحية عدد من الكتاب لانها فضحت الانقسام الطائفي في العراق بعد ٢٠٠٣ وبشرت بروح التعايش بين مختلف الطوائف , وان الزواج يعد افضل الطرق للتقريب بين المختلفين دينيا او مذهبيا , انظر مقالة خالد القشطيني في جريدة الشرق الاوسط بتاريخ ٢٤-٦-٢٠١٢

[٥٩] محمد غازي الاخرس : م . س , ١٢٤ - ١٢٥

[٦٠] ن . م : ١٢١ . لمن يطلب المزيد والتأكد من فرضيتنا حول ازمة التخاطب بين المثقفين التي انتقلت عدواها لبعض الاقلام البارزة المتسمة بالتحرر والعلمانية , فليقرأ الفصل الاخير من كتاب محمد غازي الاخرس ٢١٥ -٢٣٩ ويرى كيف يرسم الشاعر سعدي يوسف – الذي حاز على جائزة نجيب محفوظ للادب - صورته

المجحفة للادباء في داخل العراق بعد ٢٠٠٣ , وكيف ان سامي مهدي لم ينزع عبائته البعثية برغم سقوط النظام.